

المستخلص

عبد الوهاب عبد الله عبد الرحيم . شعر التصوف بن الأدبين العربي والكردي (أطروحة
دكتوراه) . - بغداد :الجامعة المستنصرية : كلية الآداب : القسم اللغة العربية ، ٢٠٠٧

من اجل مظاهره الزهد ، فالانقطاع عن الخلق ، والارتكان في زاوية من المسجد ، وهجر
الدنيا وتحقيرها والقناعة باسبغ انواع الملابس والماكل ، وكانت سيماهم في وجوههم ، ولكن بعد ان
تزايدت اعدادهم وتشابهت اخلاقهم ، اخذ هذا الزهد يتطور ويتمنح حتى تحول الى الزهد الصوفي
، وصار علما ، والتزاما ببعض المبادئ ، مقاما وحالا وشيخا ومريدا ، متأثرا بافكار وفلسفات
واديان اخرى ، وبدا يضيع هدفه المرسوم له اصلا ، وشرعت الشطحات تطفح وتتحول الى سمة
اصحاب المقامات والاحوال ، واخذ الصوفي يطمح الى اللقاء بالحق تعالى والاتحاد به .

هناك وشائج قوية بين الفلسفة والمذاهب الاسلامية والتصوف ، في المبادئ التي تقوم عليها
الثلاثة ، فيرى التفتازاني مثلا ، ان التصوف قسم من اقسام الفلسفة الاسلامية ، فهي التي نشأت
وتطورت في ظل الاسلام وحضارته ، لقد ميز التفتازاني بين نوعين من الفلسفة .

- اولهما :- الفكر الفلسفي في مجال العلوم الشرعية .
- والثاني :- الفكر الفلسفي الخالص ، وهكذا فان بعضهم يعد التصوف مذهباً كاي مذهب من
المذاهب الاسلامية ، يقول ابو حسين النوري : (ان التصوف مذهب كله جد فلا تخلطوه
بشيء من الهزل) ، وبما ان هناك مبادئ مشتركة بين الثلاثة ، فقد قدمنا دراسة مختصرة عن
الفلسفة والمذاهب باعتبارهما قد هياتا الارضية المناسبة لظهور حركة التصوف الاسلامي ،
كما يرى (التفتازاني) ان التصوف داخل في العلوم الاسلامية ، او هو علم شرعي شأنه شأن
علمي الكلام واصول الفقه

ثالثا :-

ان الادب الصوفي اتجه ادبي معين كاي اتجاه ادبي اخر له سماته وخصائصه ، وان هذا
الادب مرآة لحياة المتصوف الروحية ، نستشف من خلاله سلوك الصوفي وافكاره ، وكل ما يتعلق
بتصوفه ، بل يعبر عن المنهج الصوفي بشكل عام عن طريق الرموز والكنيات في اكثر الاحيان .
والرمز والكناية من ابرز مظاهر الادب الصوفي ، اعتقادا منهم بان اللغة المألوفة لا تستطيع
ان تؤدي واجبها في التعبير عن افكارهم ومعاناتهم بشكل كامل مضبوط ، او لكون هذه الكنيات
خطابا للروح واسراراً ، فينبغي ان لا يفهمها الا اصحابها ، او يستعملون الكنيات تبعاً لافكارهم
ونظرياتهم ، كالكناية عن الله بالانثى اعتقادا منهم كما يقول (ابن عربي) : ((بان الله يتجلى اعظم
ما يتجلى في صورة المرأة)) او كناية عن الله تعالى بالحيوان او باي شيء اخر اعتمادا على رأي
ابن عربي في قوله ((سبحان الذي اظهر الاشياء وهو عينه)) انطلاقاً من فكرة وحدة الوجود ،
ومن كنايات اخرى (الخمر) كناية عن الحب الالهي ، و (الركب) كناية عن طائفة اهل الله
العارفين المحققين ، ان نزوع شعراء الصوفية الى استعمال الكنيات ادى الى الغموض والالتباس
وصعوبة تفسير ادبهم شعرا و نثرا

رابعا :-

ثمة افكار صوفية لا تستند الى الحقيقة ، وانما يكون قبولها وجدانيا وروحيا كمسألة وحدة
الوجود ، والحلول ، والاتحاد ، والفناء والبقاء ، والشهود الخ ، وهذه ابرز عناصر الشعر
الصوفي او بالاحرى الادب الصوفي شعرا و نثرا في مراحل الحياة الروحية المتقدمة عند الصوفية
، ان هذه الافكار لا يقبلها العقل وانما العقل في نظر الصوفية يغوي ويضل كما يقول بعضهم : ((

بان الناس تائهون عن الحق بالعقل)) ، لذلك حتى الصوفية انفسهم مترددون في هضم هذه الافكار ، فنراهم يؤمنون بها حيناً ، و يرفضونها ويدحضونها حيناً اخر .

خامسا :-

الحب عند الصوفية ، هو الاساس الذي يعتمدونه في حياتهم الروحية لذلك نجد ان للغزل النصيب الاوفر في شعر الصوفية ، باعتباره المحور الاساسي الذي يتم بناء العلاقة عليه بين العابد والمعبود ، اي المحب والمحبوب كما يسميه الصوفية ، مثلما يسمون العبادة بالمحبة ، وهم يعتقدون بان العلاقة بين العابد والمعبود اذا كانت بمعزل عن الحب تكون علاقة باطلية ، لانها قائمة على اساس المقايضة والمصالح ، وكل شيء قائم على المصالح يعوزه الصدق والاخلاص ، وان العلاقة القائمة على المقايضة والمصالح جديرة ان تقوم بين انسان وانسان ، لان الحب عند الصوفية غير نفعي ، او بالاحرى ان الحب عند شعراء الصوفية من اجل الحب وحسب ، اي انه غاية وليس وسيلة

سادسا :-

ان حديث شعراء الصوفية عن السكر والخمر والكاس والقدرح يحتل مساحة شاسعة من ادبهم ، بل لهم قصائد طوال كخمرية ابن الفارض ، وقد عبروا عن تأثير الخمر ، كحالات الغيبة ، والحضور ، والصحو ، والسكر ، والذوق ، والشرب الخ ، يتاثر الصوفي بالسكر والخمر بدرجات ، وبما ان الخمر تفتح افاق تجلي الروح ، فان طلب المزيد من الخمر يعتمد على تقدم الصوفي في حياته الروحية ، هناك علاقة بين المحبة والسكر والخمر لان السكر من ثمار المحبة ، وان حضور المحبوب يعني غياب الذات ، وقد تتصل شطحات الصوفية بحالة السكر لانها من اثاره

سابعا :-

يدور شعر شعراء الصوفية حول مواضيع تتعلق بحياته الروحية فله فيما يتعلق ببداية تمسكه، وبحثه عن شيخ كامل مكمّل مؤهل للتمسك على يده ، لان الشيخ من اولويات حاجة الصوفي للتوجيه والارشاد ، ومن ثم عن زهد الصوفي ومجاهداته من النقشف في الحياة ومن الذكر والخلوة والعزلة بالفرار من الناس ، للتفرغ لعبادة الله فقط ، وحديثهم عن تركية النفس وتصفية القلب وتجلي الروح ، كل ذلك بشواهد شعرية لشعراء الادبيين العربي والكردي .

ثامنا :-

الشك هو احد المبادئ التي يعتمدها الصوفية ، وهذا واضح في اشعارهم ، فهم مع تاكيدهم مرارا وتكرارا تحقيق غاياتهم في الوصول الى قمة الحقيقة ، وهي حق اليقين ، والتشرف بلقاء المحبوب ، مع ذلك نجد بعضهم احيانا يشعر بالاحباط والعجز وتراوده الحيرة بل يجره ذلك احيانا الى ما قد يفسر الانكار او التمرد او الالحاد .

تاسعا :-

الغريب عند كبار الصوفية غالبا حينما يتقدمون في العمر ، انهم يحنون الى ماضي عهدهم ، حيث كانوا يتمتعون بنشاطهم الروحي ، ويتألمون للخمول والتراخي بسبب شيخوختهم وكان نشاطهم الروحي مرهون بنشاطهم الجسمي ، وهذه الحالة واضحة في اشعار الصوفية .

عاشرا :-

ان تاويلات الصوفية للقران الكريم تاتي على غير ما هو معروف عند العلماء والمفسرين وانما يقدمون تاويلات باطنية تناسب افكار الصوفية ، ففي قوله تعالى ((انزل من السماء ماء

فسالت اودية بقدرها ((فسر الصوفية الالية ، على ان صفاء القلوب بوصول ذلك الماء اليها ، الماء : العلم ، والاودية : القلوب .

كما حول الصوفية الطقوس الى رموز معنوية ، فمثلا في تفسيرهم قوله تعالى ((اياك نعبد واياك نستعين)) يرون ان في الجزء الاول (اياك نعبد) اشارة الى فرق ، وفي الجزء الثاني (اياك نستعين) اشارة الى الجمع .

احد عشر :-

بقدر مايكون الاحتفاظ بالسر بين المحب والمحبوب ، من اركان شعر الغزل العذري الانساني ، لغرض الحفاظ على حرمة المحبوبة ، فهكذا الحال بالنسبة الى شعر الغزل الالهي ، حيث ان من اولويات الشعاع الصوفي ان يحتفظ بالسر بينه وبين محبوبته وعدم البوح به ، وذلك من باب كرامة المحبوبة ، يقال : بان ماحل بـ (الحلاج) كان بسبب كشفه عن تلك الاسرار ، ان ضرورة كتمان السر ، ظاهرة يرددها شعراء الصوفية في ادبهم ، وهذه سمة تجمع شعراء الصوفية بشكل عام .

ثاني عشر :-

اذا كان الانزياح يمثل ابرز مظاهر الاسلوبية من اللسانيات الحديثة ، والانزياح ليس الاخرقا لقانون اللغة ، او هو التلاعب بالمادة الصماء وهي اللغة - فان الادب الصوفي يمثل اجل انواع الانزياح واعلاه فهناك نماذج راقية شعرا ونثرا ينزع الى الانزياح بوضوح .

ثالث عشر :-

من سمات الادب الصوفي ، استقلالية البيت - غالبا - في الدلالة والمعنى ، اي ان القصيدة في الادب الصوفي لا تلتزم بوحدة الموضوع ، كما ان عنوان القصيدة لا يقيد بها بمضمونها الكلي ، قد تكون القصيدة معنونة بما يناسب الرثاء ، في حين تتضمن ابياتا تخص الحياه الروحية ، لذلك فان مذهبنا في التعامل مع الشعر الصوفي ، يكون مع البيت وليس مع القصيدة وعلى نحو عام يمكن القول : ان شعراء الصوفية تركوا تراثا ضخما رائعا من الادب ، سوف يظل حيا ما بقيت البشرية .